غياب القائد

لا مبالغة في القول بأن غياب جمال عبدالناصر ، في هذه الفترة الصعبة من تاريخ العرب الحديث ، كان نكسة جديدة لا تقل خطورة واثرا عن نكسة الانفصال وهزيمة حزيران .

ذلك ان الامة العربية كانت تعمل ،بقيادة عبدالناصر ، لمحو عار ذلك الانفصال وتلك الهزيمة بتحقيق الوحدة من جديد وكسب النصر الذي اختطفته حرب الايام الستة ، فاذا بموت القائد يبعد - على الاقل - تحقيق هذين المطلبين الى فترة طويلة من الزمن .

ولا شك في أن القدر قد ظلم عبدالناصر اذ حرمه ثمرة الانجازات التي حققها في حياته للشعب المصري والامة العربية بأسرها . فان ثورة ٢٣ يوليو التي فجّرها كانت رائدة الثورات العربيه بما تمخضت عنه من مآثر في ميادين الاصلاح الزراعي والتصنيع والقوانين الاشتراكية والتطورات الاجتماعية والثقافية ، بالاضافة الى التحرر السياسي والقومي الذي وجه الى الاستعمار والامبريالية اقسى الضربات التي وجهت اليهما في العصر الحديث ، هذا التحرر الذي إيقظ القارة الافريقية كلها ، فخلق لاول مرة في التاريخ كتلة ثالثة ذات وزن في علاقات القوى العالمية .

ولكن الامة العربيه ستجني ، من غير شك ،ثمرة الاعمال التي هيأها لها عبدالناصر قبل ان يغيب ، سواء رزقت قائدا في مثل قيمة هذا القائد ام لم ترزق ، لان معالم الطريق اصبحت واضحة والغايات محددة . وقد اثبتت احداث التاريخ العربي ان هذه الامة تملك من الحيوية وطاقة الانبعاث ما يجعلها قادرة دائما على قهر المصاعب التي تواجهها والتغلب على جميع العقبات التي تعترض سبيلها .

ولعلّ أعمق شعور احسّت به الامة العربية اثر فقدان قائدها هو شعور الوحدة. فلم يمرّ في تاريخ العرب المعاصر حدث ابرز هذا الشعور كغياب عبدالناصر . وربما كان موت هذا الزعيم العظيم دعوة اخيرة الى اتحاد العرب ، بل لعل هذا الموت انذار اخير بأن الامة العربية آيلة الى الانحلال والزوال اذا لم تعمل على تحقيق وحدتها باسرع وقت ممكن .

ان خسارة العرب بفقدان عبدالناصر خسارة فادحة لا يعوّضها الا ايمان مماثل لايمانه بوحدة المصير العربي والعمل بوحي هذا الايمان . ولن يكون للحرية والاشتراكية وحدهما ان تنقذا العرب اذا لم يتحدوا .

* * *

وبعد ، فسوف تكتب صفحات كثيرة عن عصر عبدالناصر قبل ان تنفد الكلمات . وهذه المجلة التي اتفق ان ولدت بعد اشهر قليلة من ميلاد ثورة عبدالناصر سيكون لها نصيب من هذه الصفحات ، وانما هي الان كلمه عاجلة تستوقف صدور العدد الذي كاد يخرج الى السوق عند نعي الرئيس القائد .

ولن يحول هذا دون الاشارة السريعة الى ما شهده عصر عبدالناصر هذا من ازدهار الادب العربي الحديث في مصر وبالتالي في الوطن العربي كله بفضل ما هيّأته ثورة ٢٣ يوليو من أجواء التشجيع والحرية والدفع لمختلف الوان النشاط الفكري والفني في العقدين الماضيين . وسيظل الادب مدينا بهذا الازدهار لسنوات طويلة أخرى .

تحية لروح القائد البطل وعزاء لامة العرب الخالدة .

سهيل ادريس